

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[8] بأنّ له ربّاً، وأنّهما رسوله، ويكونان قد أفهماه بصورة ضمنيّة أن إدّعاء الرّبّوبية لا يصحّ من أيّ أحد، فهي مختصّة بالله. ثمّ تقول: (فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذّبهم). الصحيح أنّ دعوة موسى لم تكن من أجل نجاه بني إسرائيل من قبضة الفراعنة فقط، بل كانت - وبشهادة سائر آيات القرآن - تهدف أيضاً إلى نجاه فرعون والفراعنة أنفسهم من قبضة الشرك وعبادة الأوثان. إلّا أنّ أهميّة هذا الموضوع، وإرتباطه المنطقي بموسى كان السبب في أن يضع إصبعه على هذه المسألة بنفسه، لأنّ إستغلال وإستعباد بني إسرائيل مع كلّ ذلك التعذيب والأذى لم يكن أمراً يمكن توجيهه. ثمّ أشارت إلى دليلهما ووثيقتهما، فتقول: قولاً له: (قد جئناك بآية من ربّك) فإنّنا لا نتكلم إعتباطاً أو جزافاً، ولا نتحدّث من دون أن نمتلك الدليل، وبناءً على هذا، فإنّ العقل يحكم بأن تفكّر في كلامنا على الأقل، وأن تقبله إن كان صحيحاً ومنطقياً. ثمّ تضيف الآية من باب ترغيب المؤمنين: (والسلام على من اتّبع الهدى). وهذه الجملة يمكن أن تشير أيضاً إلى معنى آخر، وهو أنّ السلامة في هذه الدنيا، والعالم الآخر من الآلام والعذاب الإلهي الأليم، ومن مشاكل الحياة الفردية والإجتماعية، من نصيب أولئك الذين يتّبعون الهدى الإلهي، وهذه في الحقيقة هي النتيجة النهائية لدعوة موسى. وأخيراً، فإنّنا يأمرهما أن يفهما العاقبة المشؤومة للتمرد على هذه الدعوة وعصيانها، بقولهما له: (إنّنا قد أُوحي إلينا أنّ العذاب على من كذّب وتولّى). من الممكن أن يتوهّم متوهّم عدم تناسب هذه العبارة والحوار الملائم للذين كانا قد أمرا بهما. إلّا أنّ هذا خطأ محض، فأني مانع من أن يقول طبيب حريص بأسلوب مناسب لمريضه: كلّ من يستعمل هذا الدواء سيشفى وينجو، وكلّ من يتركه فسينزل به الموت.